المستشرقون والسيرة النبوية

آراء ومواقف

إعداد

ا.د .فاطمة زبار عنيزان

مركز إحياء التراث العلمي العربي

جامعة بغداد

ا.د .خديجة زبار عنيزان

كلية التربية للبنات

جامعة بغداد

المقدمة

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات التاريخية المتخصصة بالبحث في مجال الدراسات الاستشراقيه وموقفها من السيرة النبوية المطهرة،فأفادوا منه في فتح آفاق جديدة أدت إلى نهضة كبيرة لها أساسها في اكتشاف الحضارة العربية الإسلامية من جانب و العلوم الإسلامية من جانب آخر،من اجل تحقيق مواقع القوة والضعف من خلال الرؤية المناسبة لاتجاهاتهم العلمية أو السياسية أو ألاقتصادية أو الاستعمارية لان تراثهم الذي خلفوه ضخم يضم مئات المصنفات تأليفا وترجمة وشروحا وغير ذلك وان مافيه من إنصاف للإسلام وتاريخه وشريعته سببه يعود إلى المزيج المتناقض من عند المستشرقين فيما يخص معرفتهم وفهمهم للغة العربية، وتكمن أهميه هذا الموضوع هو التعرف على أراء هؤلاء ومواقفهم في هذا الموضوع في اتجاهها السلبي المتعصب والأخرى في اتجاهها الايجابي المتفهم .

أولا : الاستشراق والإسلام

أولى المستشرقون الإسلام أهمية كبيرة ،فأفادوا منه في فتح آفاق علمية وحضارية وأفادوا المكتبة الإسلامية بكثير من البحوث والمصنفات والمعاجم والتحقيقات القيمة،إلا إن كثيرا منهم جهلا أو تعمدا نالوا من الإسلام واتخذوا من عملهم في هذا المجال طريقا للطعن والتشويه والتصحيف والتحريف،وقد تركزت كتاباتهم حول القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة،وأقاموا الادله الناقصة من اجل أظهارماتبطن نفوسهم، ولهذا نجد انه لم يكتب في هذا الموضوع إلا كبار المستشرقين المتطلعين وللأسف كان حظ المغرضين غير المنصفين من هؤلاء كبيرا،الأمر الذي جعل مواجهة ذلك ضروريا وملحا لاسيما إن المكتبة الإسلامية تفتقد إلى الكتب المتخصصة التي ترد شبهات
المستشرقين وتبين أخطاءهم[1].

وفي مستهل هذا الحديث يجب علينا الرجوع إلى الجذور الأولى التي مهدت لنشأة الاستشراق أي الصلة الأولى بين المسلمين والغرب ،إذ بدأت عندما كان المسلمون في اسبانيا،وكانت أوثق الصلات بالمسلمين من فرنسا وايطاليا وانكلترا،ففرنسا عرفت المسلمين وأصبحت لها صله بالثقافة الإسلامية أولا[2]،في مدارس الأندلس وصقلية إذ تأثرت بها وانشات

(١)النشمي: عجيل جاسم،المستشرقون ،مصادر التشريع الإسلامي،ط١(الكويت،١٤٠٤هـ١٩٨٤م)،صـ صـ٥-٦؛درمنغم:أميل،حياة محمد،ترجمة عادل زعيتر،ط٢(دار إحياء الكتب،١٩٤٦م)،صـ صـ ١٤١،١٠.

(٢)م . ن ، ص ٧ .

على أثرها مدارس للدراسات الشرقية والإسلامية والمعاهد والجامعات والمجلات[١]،وايطاليا التي كانت من اعرق دول العالم اتصالا مع المسلمين وحضارتهم اتصالا دينيا قويا بسبب اهتمام الفاتيكان التي كانت تمثل معقل المسيحية بالعلوم والثقافة الإسلامية عامة وباللغة العربية خاصة[٢]،ومن هنا برز اهتمام الفاتيكان بالاستشراق من هذا الجانب ،أما انكلترا فقد ظل العلماء مدة طويلة يعتقدون إن أول اتصال مهم بين الثقافة الإسلامية والأوربية كان نتيجة الحروب الصليبية،وقد تكون هذه الفرصة الأولى للاتصال بين الشرق والغرب،إلا إن البحوث التاريخية أثبتت إن ذلك التبادل الثقافي كان محدود المدىوالاثر أمر متفق مع ماكان سائدا في ظل الحروب بين الطرفين ويعتقد أن وصول الحركة الفكرية والعلوم العربية الاسلاميه إلى أوربا بصفة عامة وانكلترا بصفه خاصة عن طريق آخر بعد أن فتح العرب شمال أفريقيا فأصبحت جسرا بين الشرق والغرب[٣] ،لهذا تهيأ للمستشرقين الانكليز مالم يتهيأ لغيرهم فقد كان الاتصال والاحتكاك المباشر بالمسلمين وعلومهم الإسلامية فنهلوا من تلك العلوم وترجموا الكثير من كتبها إلى لغتهم منهم على سبيل المثال لا الحصر: توماس براون،وادوارد،وأوف بات وغيرهم[٤].

وقد أثمرت جهودهم عن حركة استشراقية واسعة لها الاهتمام الكبير باللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعاتها واخذ الاستشراق مكانة هامة في كل من اسبانيا والنمسا وايطاليا والدنمارك وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ورومانيا وسويسرا وروسيا وأمريكا[٥]. الأمر الذي أدى إلى نهضة كبيرة أدت إلى اكتشاف الحضارة العربية الإسلامية من جانب والعلوم الإسلامية من جانب آخر كان نتيجته تحديد مواقع القوة والضعف من خلال منظورهم العلمي أو السياسي اوالاقتصادي أو الاستعماري ...الخ، وان تراثهم الذي خلفه هؤلاء المستشرقين ضخم يضم مئات المصنفات تأليفا وترجمة وشروحا وغير ذلك،وانمافيه من إنصاف للإسلام وتاريخه وشريعته سببه يعود إلى المزيج المتناقض عند المستشرقين فيما يخص قدراتهم وإمكاناتهم على فهم العربية ودلالات ألفاظها غير متساو ومتكافئ عندهم من جانب[٦]. والجانب الأخر إن أهداف المستشرقين ليست واحده بل متعددة ولعله راجع إلى حركة الاستشراق وان كانت احد أهدافها دينية نشأت على أيدي الرهبان إلا إنها خضعت لظروف وملابسات أخرى متعددة ذات

---

(١)م . ن . : ص ٧-٨ .

(٢)العقيقي:نجيب، المستشرقون، ط٣(القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م)، ٣٤٧/١.

(٣)مجلة الاستشراق العدد الثاني ،شباط ١٩٨٧م،سلسلة الكتب المقارنة،صـ ٢٢.

(٤)العقيقي:م.ن،١٦٢/٣.

(٥)النشمي:م.ن،صـ صـ٨-٩.

(٦)العقيقي:م.ن،٤٢٩/٢.

أهداف دينيه تبشيرية وعلمية مجردة ومصلحية و شخصية وخدمة استعمارية،ولاشك إن اختلاف قدراتهم وتبيان أهدافهم هذه أدى إلى نتاجات تتناسب وهذه القدرات،فمنهم الحصين الدقيق ،ومنهم حاطب الليل لايدري أين يضع ألكلمة،وفيهم المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف ،بل منهم من أدى به إنصافه إلى إعلان إسلامه قناعة ويقينا ،منهم على سبيل المثال لا الحصر : يوكهارت،وكرتكوف، وزوسنتين،وغيرهم[١]،وعكس ذلك منهم المتعصب المغرض الحاقد الذي يروم الطعن بقصد التشويه وما يمكن إن ينال به الإسلام أو نبيه (صلوات الله عليه وسلم)،لذا فنحن بحاجه إلى تصنيف المستشرقين ومراحل كتاباتهم حسب الملابسات والظروف لمعرفة تطور ألكتابه عن الإسلام بدء بالرسول(صلى الله عليه وسلم)،إلى ثلاث مراحل هي :

الأولى: مرحلة الطلائع.

الثانية: مرحلة مابعد سقوط غرناطة

الثالثة: مرحلة مابعد سقوط ألخلافة الإسلامية[٢].

وفي ضوء هذا الاتجاه تنوعت دراسات المستشرقين في العلوم الإسلامية،وابرزماكتبوا فيه هو:

١- عن القران الكريم وعلومه.

٢- عن سيرة المصطفى (صلوات الله عليه وسلم).

لذا اتصفت كتاباتهم حول القران الكريم بشكل عام بإبراز المتشابه منه والقراءات الشاذة وتأويل الآيات الكريمة وتحميلها أكثر مما تتحمل،وابرزوا اختلاف وجهات النظر بين المفسرين وما إلى ذلك النهج كثيرا مايرمي إلى التشكيك والتشويش في مجال الدراسات ألقرانية،ولم تكن كتاباتهم عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)بأقل من ذلك بل إن مجالهم في التشكيك والطعن كان اكبر من ذلك[٣].واغرقوا المكتبة الاستشراقية بوافر من الكتب التي تشكك في سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) شكلا وموضوعا وفيما تحمله من تصورات تخالف ماجاء في القران بزعمهم وان كان بعضها يخالف الآخر إلى ذلك مما سولت لهم أنفسهم زعمه وفق اجتهاداتهم الخاطئة.

ولهذا نجد إن الصورة الشائهه عن الإسلام كانت تهيمن على الفكر الأوربي من القرن الثاني عشر وحتى يومنا هذا تقريبا[٤]،لأنه ضرورة لابد لهم كي تعوضهم هن النقص الذي يشعرون به

---

(١)م . ن .

(٢)المصدر السابق .

(٣)النشمي:م.ن،صـ٢٢.

(٤)م . ن ٢٢- ٢٣ .

تجاه الإسلام[١]،التي كونت تلك الفكرة عن المسلمين كونهم وثنين يعبدون محمدا (صلى الله عليه وسلم)،ونظروا إليه باعتباره ساحرا بل الشيطان بعينه ونلاحظ تحريف اسمه في الانكليزية (Mahound)وإنهم ينظرون إلى الدين الإسلامي انه دين عنف وسيف وانه يطلق لشهوات المرء العنان وان محمدا هو المسيح الدجال[٢]،وزعموا أيضا إن القران الكريم نسخة محمد (صلى الله عليه وسلم)،وتأليفه عن طريق الوحي المزعوم الذي هو عبارة عن أحلام ورؤى وأوهام وانه في بدايته كان يمثل أفكارا وأمثلة تصور الحياة الأخرى،ونتيجة لهذا حارب الشرك ودعي إلى توحيد الله وعبادته للفوز بالدار الأخرى،وقد كان متأثرا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية من حوله وان هذا التصور المشوش نجده مسطرا في كتبهم ويتناقلوه آثما عن آثم خاليا من ادني نظرة علميه مجردة[٣].

وبصورة عامة نجد إن ماثاروه من الشبه والأباطيل حول الرسول(صلى الله عليه وسلم)،والقران الكريم،يتلخص على النحو الأتي على سبيل المثال لا الحصر:

١- إن الرسول(صلى الله عليه وسلم)ليس رسولا وإنما مدييء رسالة وساعده على ذلك ذكاؤه[٤].

٢- إن القران الكريم ليس وحيا من عند الله بل هو تأليف محمد (صلى الله عليه وسلم)[٥].

٣- إن محمدا(صلى الله عليه وسلم)اقتبس القران من التوراة والأناجيل وأخبار الماضيين وأساطير الأولين،وان القران ليس معجزا،ويمكن أن يحاكى ويؤتى مثله لأنه كلام يعبر من صيغ في اعلي وارفع الأساليب العربية بلاغة وفصاحة،وان القران بدل وحرف وهو مليء بالتناقضات ،وانه إذا صح إن محمدا(صلى الله عليه وسلم) كان رسولا فهو رسول إلى العرب لايتعداهم إلى غيرهم من الأمم،وان الذبيح من ولدي إبراهيم (عليه السلام) هو إسحاق وليس إسماعيل[٦].

ثانيا: الجوانب السلبية للمستشرقين من السيرة النبوية وعلاقتها بالقران الكريم

---

(١)أمين:حسين، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط٢(بيروت، دار الشرق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، صـ٩٨.

(٢)العقيقي : م . ن ، ص ٣١ .

(٣)امين : م.ن : ص ٩٩-١٠٠ .

(٤)المطعني : عبدالعظيم ، الاسلام في مواجهة الاستشراق ، ط١ (المنصورة ، دار الوفاء للطباعة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) : ص ٩-١٠

(٥)م .ن .

(٦)البهي ، : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، (القاهرة) : ص ٥٠٧ – ٥٢١ .

تمثل الموقف الغربي من الرسول(صلى الله عليه وسلم)ومن القران الكريم في شكل إطار ديني صرف موصوف بالتعصب والتشنج والانفعال المليء بالحقد والكراهية تحيط به جهالة عمياء متعمده حينا وغير ذلك حينا أخر جعلت بين القوم وشخصية محمد(صلى الله عليه وسلم)سدا يصعب اختراقه وأثارت سحابا من فوقه سحاب وظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج احد يده لم يكد يراها والنتيجة أبحاثا ليست تاريخيه علميه أو موضوعيه بل عبارة عن سيل منهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال الدين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافه،ورجال علمانيون لاعلاقة لهم بالكنيسة واستمر هذا التيار حتى وقتنا الحاضر[١].

لذا سوف ننقل ماقالوه على سبيل الاستشهاد ومادام ناقل الكفر ليس بكافر.فلا باس من إيراد بعض أرائهم التي هي عبارة عن شتائمهم التي نتلقاها عن أناس حديثي عهد بهذا العصر بل إن بعضهم لازال على قيد الحياة،منهم على سبيل المثال كما نقل محمد البهي عن المونسيور كولي في كتابه(البحث عن الدين الحق)قائلا((برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على اشد أنواع التعصب ويتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ثم سمح لإتباعه بالفجور والسلب،ووعد الذين يهلكون بالاستمتاع الدائم بملذات الجنة...وان قوة الهلال تقهقرت أمام قوة الصليب وانتصر الإنجيل على القران وعلى مافيه من قوانين الأخلاق الساذجة))[٢]، أما مسيوكيمو في كتابه(ميثولوجيا الإسلام) كما نقل البهي عنه((إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا،بل هي مرض مروع وشلل عام...وان قير محمد في مكة ماهوالاعمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجيء إلى الإتيان بمظاهر الصرع الهيستريا والذهول العقلي وتكرار لفظ "الله الله" إلى مالا نهاية))[٣]،وعن جوليان في كتابه((تاريخ فرنسا))يورد البهي عنه قائلا((إن محمدا مؤسس دين المسلمين قد أمر إتباعه أن يخضعوا العالم وان يبدلوا جميع الأديان بدينه...))[٤]، وعن غلاورورو في كتابه((تقديم التبشير العالمي)) يشير البهي قائلا((إن سيف محمد والقران اشد عدوا واكبر معاند للحضارة والحرية والحق...))[٥]،وزاد قائلا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما نقل البهي((كان محمد حاكما مطلقا وكان يعتقد إن من

(١)البهي ، : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، (القاهرة) : ص ٥٠٧ – ٥٢١ .
(٢)م .ن .
(٣)م .ن
(٤)م .ن
(٥)م .ن

حق الملك على الشعب إن يتبع هواه ويفعل ماشاء...))[١]، ويقول المستشرق البريطاني المعاصر مونتكمري واط اثر التأثير اليهودي المسيحي عليه صلوات الله عليه وسلم قائلا((إن زيارة محمد لحراء،وهو جبل قريب من مكة بصحبته عائلته أو بدونها ليست مستحيلة ويمكن أن تكون ذلك للفرار من أتون المدينة خلال فصل الصيف للذين لايستطيعون إلى الطائف ويمكن للتأثير اليهودي المسيحي ولاسيما مثل الرهبان،أو تجربة شخصيه لمحمد،إن يكون قد أثار فيه الحاده للخلوة والرغبة فيها))[٢]،وزاد في موضع أخر إن مانزل على محمد(صلى الله عليه وسلم) مماثل لما ورد في كتب اليهود والمسيحية قائلا((... بعد أن اخذ محمد يتلقى الوحي وهي تعني إن مانزل على محمد مماثل لكتب اليهود والمسيحية ألمقدسه كما إن محمدا سمع مايو همه بأنه مؤسس أمه ومشرع لها...)[٣].

إن النظرة الأولى للإسلام تكشف عن مواضع شبه بينه وبين المسيحية،ولكن نظرة فاحصه دقيقه قريبه تبرز الخلافات الاساسيه،وهذه الحقيقة غالبا ماتثير المبشرين في الماضي ومازالت تميل قليلا في المجال الأكاديمي إلى التحايل على تفسير مثل هذه الشوارد كااصول الإسلام ويتسنى للمبشر أو الباحث الأكاديمي إلى أن يتناسى وهو ينال من قدرة محمد(صلى الله عليه وسلم) بطريق مباشر أو غير مباشر كيف يقدس المسلمون الأتقياء السيد المسيح(عليه السلام)،وقد عمل احد المستشرقين وهو قسيس انجليكاني على عقد عدة موازنات ليظهر إن الإسلام في حده صورة غير محكمة أو مشوهه للمسيحية[٤]، أما الفرد كانتولسمث يذكر أسباب تباعد المسلمين والمسيحيين بعضهم البعض عن الأخر سببه كلا الفريقين أساء فهم عقيدة الآخر كما نقل محمد البهي[٥].أما المستشرق كتيباني فقد اعتمد منهجا معكوسا في الانتقال الكيفي في أحكامه كما أشار جواد على قائلا ((..كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث يذكرنا بكثير من المختصين في حقل التاريخ الإسلامي والذين يعملون وفق منهج خاطئ من أساسه إذ إنهم يتبنون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها مايؤيد فكرتهم ويستبعدوا مادون ذلك فلقد وضح راية في السيرة قبل الشروع في تدوينها فلما شرع بها استعان بكل خبر من الإخبار ظفر به ضعيفها وقويها وتمسك بها

(١)م . ن .

(٢)واط:مونتغمري،محمدبمكة،ترجمة شعبان بركات،(بيروت،المكتبة العصرية)،صـ٨١؛ومحمد بالمدينة،ترجمة شعبان بركات(بيروت،المكتبة العصرية)،صـ١٥.

(٣)م .ن : ص ٩٢ – ٩٣ .

(٤)البهي : م.ن : ص ٥٩٣ – ٦٠١ .

(٥)م .ن .

ولم يبال بالخبر الضعيف))[١]، ونقل عن آيتين في كتابه((الشرق كما يراه الغرب)) بعض الآراء حول هذا المنهج قائلا ((إن سيرة محمد الحديثة تدل على إن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخرت لأي نظريه أو رأي سابق،وهي حقيقة يجب على مستشرقي العصر أن يضعوها نصب أعينهم فإنها تشفيهم من داء الإحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود مايجاوز حد الطاقة فيصلوا إلى نتائج خاطئة))[٢].

أما بصدد مهاجمة يهود بني النظير ،فيذكر بعض المستشرقين ومنهم ولفنسون الذي يرى إن مؤرخي العرب يذكرون سببا آخر لإعلان الحرب على الطائفة اليهودية كما يقول((... هو محاولتهم اغتيال الرسول وإنهم ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت بعد إجلاء بني النظير))[٣] ،أما بروكلمان الذي يعزو الأمر إلى الظروف التي حالت بين الرسول(صلى الله عليه وسلم) وبين شن الحملة كما يقول((لقد حالت الظروف بين الرسول وبين الشروع في شن حملة نظاميه مباشرة على المشركين فقد كانت فكرة الشرف العربية القديمة تمسك المهاجرين عن محاربة أخوانهم في قريش فيما كان المدنيون غير شديدي الميل إلى تعكير صفو السلم مع جيرانهم الأقوياء... وان محمدا كان يشكر صنيع أتباعه...))[٤]،أما فلهاوزن الذي أنكر سياسة تسامح الإسلام قائلا((لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب في داخل المدينة...))[٥].أما مرغليوث في كتابه((محمد))فقد قدم مبررات لاجدوى لها عن محمد(صلى الله عليه وسلم) قائلا((عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب النهب ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه...))[٦].

---

(١)علي:جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م)، ٩٥/١.

(٢)م .ن : ٤٣/١- ٤٤ .

(٣)ولفنسون، اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،(القاهرة ،الاعتماد،١٩٢٧م)،صـ صـ١٤٥-١٤٦.

(٤)بروكلمان:كارل،تاريخ الشعوب الاسلاميه،نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي،(بيروت،دار العلم للملايين،١٩٧٩م)،صـ ٤٤.

(٥)فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها (دار القلم ، ١٩٨٠ م) :ص ١٥-١٦ .

(٦)مرغليوث:محمد وقيام الإسلام،ترجمة عبد الهادي أبو ريده،١٩٦٨م،صـ صـ ٢٦٢-٢٦٣و Margolioth.D.S, Mohammad and Rise of Islam,(London,1931),p 262-263 .

ثالثا::الرد على غلو بعض المستشرقين

لقد غالى المستشرقون في كتاباتهم عن السيرة النبوية المطهرة وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك في كل شيء يخص الرسول(صلى الله عليه وسلم)،ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده،وأشار إلى هذه المسالة درمنغم كما نقل هيكل عنه قائلا((... من المؤسف حقا إن غالى بعض هؤلاء المتخصصين أمثال موير ومرغليوثونولدكهوشبرنجرودوزيوكيتانيومارسين وغريم وغولدزيهروغوذفزوا...في النقد فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص،ومن المحزن ان النتائج إلي وصل إليها أولئك المستشرقون هي نتائج سلبيه ناقصة))[1].أما الأب لامانس الذي كان من أفضل المستشرقين المعاصرين ومن أشدهم تعصبا وانه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وبني الإسلام وعنده إن الحديث إذا وافق القران كان منقولا عن القران[2].

وان موقفهم من القران الكريم كمصدر من مصادر السيرة النبوية المطهرة،واعتماده في هذا المجال سلاحا ذو حدين ويتمثل الحد السلبي بنفي الكثير من أحداث السيرة النبوية المطهرة مادامت لم ترد في القران الكريم،وكان القران الكريم كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة محمد(صلى الله عليه وسلم)،وهذا مكنهم من عملية انتقاء مغرضة ذات طابع هدمي معاكس لكل وهي التشكيك ورفض كل رواية لأترد موادها في القران لاسيما إذا كان في هذه الرواية تمجيد للنبي(صلى الله عليه وسلم)،أو إذا كان في نفيها تأكيد لإحدى وجهات النظر الاستشراقيه،فمثلا شبر نكر Sprenger يرى إن اسم النبي (صلى الله عليه وسلم) ورد في أربع سور من القران من آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح،وكلها سور مدنية وان لفظة محمد لم تكن اسم علم للرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل الهجرةوانما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى[3]،وهنا يتوجب أن نسال شبر نكر إذا كان النبي(صلى الله عليه وسلم) قد التقط اسم (محمد) من خلال قرأته لنبؤات الإنجيل فأين ذهب (محمد)الحقيقي الذي بشر به العهدان القديم والجديد؟

وان القران الكريم كان قضيه فوقيه جاءت آياته لتقود الإنسان في كل زمان ومكان إلى عصر جديد،ولم يكن ينفعل انفعالا مؤقتا بالوضع السائد سلبا أو إيجابا كما يتصور معظم

(١)هيكل : محمد ، حياة محمد ، ط٤ (القاهرة ، ١٩٥٨ م) ص : ٥٥٠ –٥٥١ .

(٢)هيكل : محمد ، حياة محمد ، ط٤ (القاهرة ، ١٩٥٨ م) ١٠/١ ، ص :٨–١١ ..

(٣)م . ن : ٨٧/١ .

المستشرقين مسيحيين وماركسيين،وهذا يفسر لنا الكثير من الأخطاء التي مارستها مناهج البحث الاستشراقيه[١].

ونحن هنا لانطلب من الغربيين أن يؤمنوا إن القران منزل من السماء وان محمدا(صلى الله عليه وسلم) رسول،وإنما نطلب أن يكونوا أكثر تجردا وموضوعيه في النظر إلى السيرة النبوية المطهرة كوحدة عضويه متكاملة والقران الكريم كبرنامج مترابط تعلوا معطياته على الظروف الموقوتة زمانا ومكانا رغم ملامساتها أليوميه المباشرة للوقائع الزمانيه والمكانية التي تنبثق عنها قيم ودلالات ذات طابع شمولي ماكان للمستشرقين إن يغفلوا عن إبعادها.

فيرى بيجولفساكيا إن القران الكريم يشعر بتركيز مرحلة ملكية الرقيق ويذهب مع بلاييف إلى المرحلة الإقطاعية إلذي يرى إن الإسلام المتمثل بالقران الكريم لايلائم المصالح السياسية والاجتماعية،ويدعيكليموفيج إن محمد(صلى الله عليه وسلم)واحد من عدة أنبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وارادو توحيد القبائل بينما ينفي تولستوف وجود النبي العربي عليه السلام ويعده شخصيه أسطوريه كما نقل عنه الدوري[٢]،أما المستشرق واشنجونايرفج من أعلام الكتاب الذين فاخرت بهم الولايات المتحدة الامريكيه الذي لم تمكنه دراسته من إدراك روح الإسلام وأساس حضارته فذهب مذهبه الخاطئ في تأويله فيما يخص مسائل القضاء والقدر والاعتماد على مبدأ الجبرية كما نقل عنه هيكل قائلا((وقد أقام محمد جل اعتماده على هذه القاعدة لنجاح شؤونه))[٣]،أما الفيلسوف الفرنسي هيبوليت الذي تبنى قوله((المرء ثمرة بيئته)) وقد ذهب غير واحد من المستشرقين إلى تأيده ،ولكن نقول استنادا إلى قوله تعالى ((إن ليس للإنسان إلا ماسعى وان سعيه سوف يرى))[٤]،إن لايكون هذا وحده دليلا على تحامل المستشرقين الذين يزعمون جبرية الإسلام التي أدت إلى تدهور الأمم الاخذه به بل إن الجبرية الإسلامية أكثر حظا على السعي إلى الخير والفضل وابتغاء الرزق من الجبرية الغربية[٥]،وربطوا مطاعنهم في مسالة جمع القران الكريم فأقاموا الحجج الواهية على ذلك مستندين في ذلك إن الرسول(صلى الله عليه وسلم)قد قبض ولم يكن القران قد جمع في شيء

(١)م . ن .

(٢)الدوري:عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠م)، صـ صـ ١٤-١٦.

(٣)حياة محمد : ص ٥٥٠ – ٥٥١ .

(٤)النجم الاية : ٤٠

(٥)هيكل : م .ن : ص ٥٥١ .

كما نقل عن المستشرق وليم ميور وغيره من المستشرقين[١]،الذين اتخذوا من قول الخليفة أبو بكر الصديق(رضي الله عنه)كما أورد هيكل((كيف يفعل شيئا لم يفعله رسول الله "صلى الله عليه وسلم"وهم مخطئون في تحميل عبارة أبو بكر هذا المعنى وفي ظنهم إن الآيات ظلت مبعثره من نزولها إلى أن جمعت في عهد الخليفة الأول ثم في عهد عثمان "رضي الله عنه"وبتوفيقه...وإنما ألف القران على ماكانوا يسمعونه من رسول الله "صلى الله عليه وسلم"))[٢].

أما هاملتون كب في مقالة له عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) يذكر((...إن فكرة الإله الأعلى ماتزال غامضة مضطربة عالقة بالخرافات وان الثورة التي حققها محمد(صلى الله عليه وسلم"انه رفع فكرة الله ونزهها من عوالقها الطبيعية ولم يكتف بان يسميه ""الإله الأعلى" بل انه "الواحد الصمد"))[٣]،وعن علاقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينقل لنا النشمي عن كولد زهير قائلا((إن الرسول"صلى الله عليه وسلم"لما بلغ الأربعين من عمره اخذ يقضي وقته على ماتعود في الخلوة في الغيران المجاورة لمكة حيث كان نبها للأحلام القوية والرؤى الدينية وتملكه شعور بان الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب إلى قومه منذرا...الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم وبهذا انظم محمد"صلى الله عليه وسلم" إلى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفه آخرهم وخاتمهم))[٤].

وبهذا تكون فكرته تلك الصورة عن دور النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)التي وسمت القران الكريم بالصفة البشرية تلك النتيجة التي رتبوا عليها كل بحوثهم وأرائهم وركزوا كل تحليلاتهم واستقوا على ضوئها استدلالاتهم واستنتاجاتهم.

رابعا: أراء بعض المستشرقين المنصفة

كان لبعض المستشرقين ممن اتخذ طريق الحق في الخوض في سيرة المصطفى(صلوات الله وسلم عليه) وما يتعلق بها من مواضيع شتى وقد عززت كتاباتهم المنصفة في التخفيف من التعصب الذي اتخذه غيرهم من المستشرقين الغير منصفين وكانت أرائهم كلمة حق

---

(١)ابو بكر الصديق ، ط٤ (القاهرة – ١٩٧٩ م) : ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٢)م .ن : ص ٣٢٩ .

(٣)كب:هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام،ترجمةد.إحسان عباس وآخرين،ط١(بيروت،دار العلم للملايين،١٩٦٤م)ن ص . ٢٤٨-٢٤٩.

(٤)مصادر التشريع : ص ٣٢-٤٦ .

منهم العلامة شيبرل الذي يعزو للبشرية أن تفخر بانتساب محمد(صلى الله عليه وسلم) في بحث ألقاه في مؤتمر الحقوق عام ١٩٢٧م كما أورد النشمي عنه ذلك قائلا((إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد(صلى الله عليه وسلم)إليها .إذ انه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الاوربين اسعد مانكون ،لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنه))[١]،ونقل النشمي عن الدكتور هوكنج الذي يقول إن الدين يقوم عل أساس اتخاذ مجموعه من المبادئ التي تقود إلى التقدم((إن سبل تقدم الدول الاسلاميه ليس في اتخاذ الأساليب المفترضة التي تدعي إن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد أليوميه أو عن القانون والنظم السياسية، وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم،ويقول إني اشعر إنني على حق حين أقرر إن الشريعة الاسلاميه تحتوي بوفرة على المبادئ اللازمة للنهوض))[٢]،أما المؤرخ الانكليزي ويلز الذي يرى إن أوربا كلها مدينه للإسلام في اغلب جوانبها الاداريه والتجارية[٣]،وقد احتل الإسلام مكانا وسطا بين النظريات الراسماليه والبرجوازية وان نظرته إلى المادة كشيء مسخر لخدمة الإنسان كما يشير ماسنيون وقد أيده جوستاف لوبون الذي يرى إن العرب المسلمين هم سبب انتشار المدنية في أوربا[٤]،أما الشاعر الألماني جوته الذي يقول نحن مدينون بالإسلام جميعا[٥].

إن هذه الشهادات التي أصبحت من المعلوم للقاصي والداني،ووافق عليها الكثير من المستشرقين المعاصرين اليوم تقضي على مزاعم غير المنصف من المستشرقين الذين كادوا العداء للإسلام عامه والرسول(صلى الله عليه وسلم) خاصة،ولابد من حركه واسعة من اجل إسدال الستار على أبحاث أولئك المغرضين منهم ،كي يبقى الإسلام صافيا ناصعا لايكدر صفوه تطاول أي زمره من المستشرقين الذين تجردوا من الموضوعية والبحث العلمي الرصين واثروا التعصب هدفا لبحثهم والكيد والطعن والتشويه أسلوب منهجهم ممن كان هذا دابة وانه تجاوب مع منهج التوحيد الذي يتجاوب مع فطرة الإنسان[٦]،مستندا إلى منهجه

(١)م .ن . ص : ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢)م .ن .

(٣)م .ن : ص ٢٣٩ .

(٤)المصدر السابق . مصادر التشريع .

(٥)م . ن .

(٦)م.ن: ص ٢٤٣-٢٤٤ .

تبارك وتعالى((الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))[١]،ويعزو بولد قابس تحامل المستشرقين

إلى غزيرة موروثة تقوم على مؤثرات خلفتها الحروب ألصليبة بكل

مالها من ذيول في عقول الاوربين الأوليين[٢]،وعزز ذلك تلك الموازنة التي عقدها ماركس في كتابه((محمد وبوذا "المسيح"))أي بين الرسول (صلى الله عليه وسلم)وبوذا المسيح متسائلا كما نقل العقاد ذلك قائلا((... أليس محمدا نبيا على وجه من الوجوه؟...فأجاب قائلا: انه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الأنبياء فقد عرف حقيقة عن الله لم تعرفها الناس من حوله وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لاتقاوم نشر تلك الحقيقة وانه لخليفة هذه الفضيلة وانه أوفر الأنبياء شجاعة))[٣]،وزاد معللا ذلك في قوة وعمق أساسه كما نقل عنه العقاد((... ويقول إذ سال: ما الذي دفع بمحمد إلى أقناع غيره حيث رضي الموحدون بعبادة العزلة؟ فلامناص لنا أن نسلم انه هو العمق والقوة في أبحاثه يصدق مادعى إليه...))[٤].

الخلاصة

ومما تقدم نخلص بأنة كان للمستشرقين اهتمام واسع بالإسلام بصورة عامة والسيرة النبوية المطهرة والقران الكريم بصورة خاصة ونتيجة لهذا الاهتمام رفدوا المكتبة الإسلامية بوافر من البحوث والمصنفات والمعاجم وغيرها وقد تركزت كتباتهم حول القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة،وقد نشا من ذلك حركة استشراقية واسعة لها اهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات المختلفة واخذ مكانه مهمة في عدد من الدول الغربية منها اسبانيا والنمسا وايطاليا ...الخ،وأثمرت جهودهم نهضة واسعة أدت إلى تحديد مواضع الضعف والقوة من خلال منظورهم العلمي والسياسي والاقتصادي والاستعماري ،الذي ولد لديهم مزيج متناقض وفق قدراتهم وإمكاناتهم على فهم العربية ودلالات ألفاظها كان غير متساو ومتكافئ في اغلب الأحيان ،لذا كانت أهدافهم ليست واحدة ولاسيما الدينية منها التي نشأت على أيدي الرهبان فكان لها طابعها الديني التبشيري ذو الطبيعة المجردة والمصلحيه أدى إلى نتاجات تتناسب وقدراتهم،فمنهم الحصين ومنهم حاطب الليل لايدري أين يضع كلمته ومنهم المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف،ومنهم من أدى به إنصافه إلى إعلان إسلامه قناعه ويقينا.

---

(١)سورة الملك- الاية : ١٤ .

(٢)الاسلام على مفترق الطرق :ص ١٣ و ص ٥٨-٥٩ .

(٣)العقاد : عباس محمود ، عبقرية محمد (مصر -دار الهلال ، ١٩٦٩ م) : ص ١٥٤ .

(٤)م .ن .

المصادر والمراجع

١- النشمي: عجيل جاسم،المستشرقون ،مصادر التشريع الإسلامي،ط١(الكويت،١٤٠٤هـ١٩٨٤م)دارمنغم:أميل،حياةمحمد،ترجمة عادل زعيتر،ط٢(دار إحياء الكتب،١٩٤٦م.

٢- العقيقي:نجيب، المستشرقون، ط٣(القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م)،

٣- مجلة الاستشراق العدد الثاني ،شباط ١٩٨٧م،سلسلة الكتب المقارنة.

٤- أمين:حسين، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط٢(بيروت، دار الشرق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٥- ألمطعني:عبدالعظيم،الإسلام في مواجهة الاستشراق،ط١(المنصورة ،دار الوفاء للطباعة،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٦- البهي:محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (القاهرة).

٧- واط:مونتغمري،محمدبمكة،ترجمة شعبان بركات،(بيروت،المكتبة العصرية)،صـ٨١؛ومحمد بالمدينة،ترجمة شعبان بركات(بيروت،المكتبة العصرية).

٨- علي:جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م).

٩- ولفنسون، اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،(القاهرة ،الاعتماد،١٩٢٧م).

١٠- بروكلمان:كارل،تاريخ الشعوب الاسلاميه،نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي،(بيروت،دار العلم للملايين،١٩٧٩م).

١١- فلهاوزن:ألدوله العربية وسقوطها،(دار القلم،١٩٨٠م).

١٢- مرغليوث:محمد وقيام الإسلام،ترجمة عبد الهادي أبو ريده،١٩٦٨م.

Margolioth.D.S, Mohammad and Rise of Islam,(London,1931),p 262-263

١٣- هيكل:محمد، حياة محمد، ط٤(القاهرة، ١٩٥٨م).

١٤- الدوري:عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠م).

١٥- أبو بكر الصديق، ط٤(القاهرة، ١٩٧٩م).

١٦- كب:هـــاملتون، دراســـات فـــي حضـــارة الإسلام،ترجمةد.إحســـان عبـــاس وآخرين،ط١(بيروت،دار العلم للملايين،١٩٦٤م).
١٧- العقاد:عباس محمود، عبقرية محمد، (مصر، دار الهلال، ١٩٦٩م).